

لمحة عن الأحوال الاقتصادية عند العرب قبل الإسلام

أ.م.د. ظاهر ذباح الشمري

جامعة بابل مركز بابل للدراسات الحضارية وتاريخية

المقدمة

الحمد لله الذي أوصانا بطلب العلم ، وسهل لنا الطريق اليه والصلاة والسلام على نبيه شجرة العلم التي أصلها ثابت وفرعها في السماء وعلى آله وصحبه الذين هم فروع هذه الشجرة التي دنت لهذه الأمة وقطوفها المثمرة .

تحتل الدراسات الاقتصادية السابقة لظهور الإسلام مكانة كبيرة لدى الباحثين من أجل الوقوف على الجذور التاريخية للفكر الاقتصادي الإسلامي، وكان من الضروري دراسته لتكوين نظره متكافئة عنه لفهم المستجدات عبر الحقب المتعاقبة ، وبما أن الحياة الاقتصادية عند العرب قبل الإسلام تعد عصب الحياة للإنسان في جميع الأوقات كل ذلك دفعنا أن يكون مدار بحثنا حول هذا الجانب .

أن المادة المتوفرة والخاصة بالأوضاع الاقتصادية مبعثره ومتفرقة ونادرة ، وقد سعينا الى وضعها في نسق يخدم النهج العام للبحث ويؤكد طابع الوحدة الاقتصادية ، ولقد واجهتنا أثناء البحث صعوبات جمة فضلاً عن قلة المعلومات الاقتصادية وعدم تجانسها في أحيان كثيرة ، ولقد قل عدد المؤرخين من افرد لهذا الجانب الحيوي العناية التي تستحق ، لذا لم يكن ثمة مناص في أخذها من كتب التاريخ ، ولا بد من الإشارة الى أنه قد توصلت بعض الفرضيات التاريخية الحديثة الى نتيجة مفادها أن العامل الاقتصادي له الأثر البالغ في تغيير مسار التاريخ ، ذلك أنه يتخذ مساراً مبطناً ومرادفاً للعوامل السياسية والاجتماعية والعسكرية لأية أمة لكنه لا يلبث أن يظهر مع جملة مسببات أخرى ويطيح بها وهنا تكمن الأهمية في الدراسة والبحث فيما يتعلق بالجوانب الاقتصادية متأملين الأسباب والعلل لإحداث التاريخ ومدى تأثير العامل الاقتصادي في تلك الأحداث وعلاقة ذلك بالواقع السياسي والفكري والاجتماعي .

وقسم الموضوع الى مبحثين يتناول المبحث الأول الزراعة وأهمية العمل الزراعي وأختيار الأراضي الصالحة للزراعة ونوعية المحاصيل المزروعة ضمن نطاق شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام أما المبحث الثاني فقد جاء فيه الأحوال التجارية والصناعية. عند العرب قبل الاسلام وتأثيرهما في الحياة الاقتصادية .

أعتمد البحث على عدد من المصادر والمراجع ومنها ابن هشام (ت ٢١٨) في السيرة النبوية ، وأبن سعد (ت ٢٣٠ هـ) في كتابه الطبقات ، وابن حبيب (ت ٢٤٥ هـ) في كتابه محبر ، والبلاذري (ت ٢٧٩ هـ) في فتوح البلدان والطبري ، (ت ٣١٠ هـ) تاريخ الرسل والملوك ، ومن كتاب المسعودي (ت ٣٤٦ هـ) مروج الذهب ومعادن الجوهر ، وابن بصال (ت ٤٩٩ هـ) في كتابه الفلاحة ، وابن العوام (ت ٥٤٠ هـ) في كتابه الفلاحة ، والناقلي (ت ١٠٥٠ هـ) في كتابه علم الملاحة في علم الفلاحة .

أما أهم المراجع فهي أسواق العرب قبل الاسلام للدكتور حمدان الكبيسي ، والمفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام لجواد علي، و تاريخ حضارة وادي الرافدين لأحمد سوسة ، ومحاضرات في تاريخ العرب لصالح أحمد العلي ، وكتاب مكة والمدينة لأحمد الشريف ، وغير ذلك من المصادر والمراجع التي وردت في هوامش البحث .

المبحث الأول

الزراعة

أطلق على ما قبل الاسلام أسم (الجاهلية)، وأطلق على حال العرب قبل الاسلام تمييزاً لهم عن الحالة التي آلوا إليها بظهور الرسالة، وقد قسم القرآن الجاهلية على جاهلية أولى وجاهلية أخرى ، حيث ورد في الآية الكريمة ((وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً))^(١) ، ويتضح ان الجاهلية الاولى التي ولد فيها النبي ابراهيم عليه السلام ، والجاهلية الأخرى التي ولد فيها النبي محمد (ص) .

ويتبين لنا ان استخدام مصطلح الجاهلية تعبيراً عن الموقف السلبي الذي وقفه كثير من العرب تجاه مسائل الإيمان والتوحيد والخالق ، وهي الحالة التي كانت عليها العرب قبل الاسلام من الجهل بالله سبحانه وتعالى ومن المفارقة بالأنساب والتجبر وغير ذلك ، وليس كما يبدو لأول وهلة بأنها الجهل بالعلم والثقافة أو الجهل بالقراءة والكتابة ، الى غير ذلك من المقومات الحضارية التي كان العرب على شيء منها قبل الاسلام .

أن الجزيرة العربية على وجه التخصيص شهدت قيام دول وحضارات متعددة في المراحل اللاحقة من التاريخ ، وصولاً الى مرحلة ظهور الإسلام ، وهذه الحضارة بمجموعها وعلى امتداد الحقب المتباينة للتاريخ العربي تعد دليلاً كافياً على حيوية المجتمع العربي ، المتجلية في قدرته على بعث الحضارة في هذا الجزء أو ذلك من أجزائه كلما ظهرت بوادر ضعف أو انحلال فيه، لتكون الحضارة العربية الإسلامية بذلك المحصلة الطبيعية لهذا الاستعداد الحضاري لدى المجتمع العربي في تلك المرحلة .

ومن الثابت أن الحياة الاقتصادية لأي مجتمع هي من الدعامات الأساسية في وجوده واستمرار بقائه وقد فسرت هذه الدعامة بأنها الفعاليات الزراعية والصناعية والتجارية فيه ترتبط الفعالية الرعوية وتربية المواشي بتلك الفعاليات في بعض الأحيان .

ولعلنا نجد ارتباط الاقتصاد بالزمان والمكان ، فالإنتاج الاقتصادي رهين البيئة بكل تفاصيلها وان الجزيرة العربية التي أنجبت أولى الحضارات الإنسانية العظيمة ، وجدت عطاءها الحضاري أكثر من مرة ، لا يمكنها أن تكون مجرد صحراء لا يتوفر في تكوينها الجيولوجي والجغرافي العناصر الطبيعية الضرورية لإنتاج الحضارة ، وإنما لا بد وأن تتوفر لها الشروط المادية الطبيعية لكل حضارة ، وأن تلك الشروط لم تكن بأية حال مجرد تلك المناطق القليلة في اليمن والحجاز التي وجدت فيها المياه ، وكانت صالحة للزراعة والاستقرار بقدر ما كانت تلك الشروط تعم أغلب أنحاء الجزيرة ، ربما باستثناء صحارى النفوذ في الشمال والاحقاف في الجنوب .

أن التطور الاجتماعي والاقتصادي ، والإنتاج الحضاري عموماً ليس وليد عوامل الصدفة ، كما أنه ليس تعبيراً عن عبقرية يحتكرها شعب ويحرم منها آخر ، بل هو حصيلة صراع واع للإنسان مع الطبيعة ولكيفية تفاعله مع البيئة المحيطة ، ولمتابرته واصراره على تحقيق المزيد من السيطرة على الطبيعة وعلى نفسه . هذان الأمران تؤكدهما المعلومات التي تزدهم فيها مصادر التاريخ وتعبّر عنها الاكتشافات الأثرية . وكثيراً ما يقف المرء مندهشاً أزاء أسماء الأماكن التي تذكرها المصادر التاريخية ، على أنها كانت يوماً ما موطناً للمياه الغزيرة ، وأرضاً خصبة للزراعات المختلفة ، ولكنها تصحرت فيما بعد لعوامل مختلفة وأسباب متعددة . إذ تذكر أسماء قرى ومناطق اشتهرت بوفرة المياه وقيام الزراعة المنتظمة فيها عن طريق حفر الآبار وتنظيم مياه الأمطار والسيول في سدود وخزانات ، لكنها أندثرت في فترات لاحقه وأصابها الموات لظروف لا مجال لتفصيلها في هذا البحث .

ورغم زحف الجفاف والموات على مناطق ليست قليلة من الجزيرة الا أن المساحات الصالحة للزراعة ، والتي عرف سكانها كيف يستنبطون المياه منها ، وكيف يجمعونها وينظمون استخدامها ، كانت هي الأخرى ليست قليلة ، هذا بالإضافة الى عدة أقسام من الجزيرة كانت أصلاً من المناطق الخصبة والملائمة كثيراً لقيام الحضارات وتحقيق الازدهار ، فاليمن وعمان والبحرين وهجر من المناطق الزراعية التي توفرت فيها المياه وازدهرت الزراعة فيها وأن تجاراتهم كانت كثيرة ومعاشهم وافرة ، لما في بلادهم من الخصب والرخاء والذخائر المتنوعة والمعادن الجيدة وغير ذلك من أسباب الثروة والغنى .

واللافت للنظر أن الثروة الحيوانية عند العرب قبل الإسلام كانت ركناً حيوياً من أركان الحياة اليومية فكان لها دور في حرث الأرض وحمل الأثقال وفي التنقل ، وتسهم في تصدير الأنتاج

الزراعي ، وكان من أهمها الإبل وهي أكثر أنواع الماشية نفعاً للإنسان ، وكان سكان البادية لا يمكنهم الاستغناء عنها .

تمثل هذا النجاح بالحضارة الانسانية العريقة حيث كانت الزراعة جزءاً مهماً منها (٢) . إذ انها تشكل الاساس في قيام النمو الحضاري وتطوره بمختلف مجالاته وهذا يعكس أهمية النظم الاروائية التي قام بها الانسان في تلك الحقبة (٣) . ولا توجد زراعة ناجحة بدون توفير المياه وانعكس اهتمام العرب بالزراعة منذ القدم فكان اهتمامهم باستثمار المياه الموجودة عن طريق مشاريع الإرواء التي شكلت جزءاً من حضارتهم وعكست تطور الزراعة على الرغم من قلة المياه في الجزيرة العربية (٤) .

هكذا صارت الزراعة نشاطاً رئيسياً تعدى أن يكون نشاطاً هامشياً أو أن يكون الغرض منه الإشباع الذاتي او التبادل البسيط بل صار تبادلاً واسعاً أدى الى تطور حركة التجارة (٥) .

وعلى الرغم من أن الكثير من العرب احتقروا كل من يمتن الزراعة وفضلوا عليها باقي المهن (٦) ومع ذلك فقد أشارت الكثير من المصادر التاريخية الى اتساع الاراضي المزروعة في الجزيرة العربية والى تنوع أماكنها ووفرتها لا سيما في نجد والعربية الشرقية ومناطق الواحات (٧) واليمن ومنذ أقدم العصور وهذا يدل على أصالة الزراعة منذ أقدم العصور (٨) . وشملت الزراعة في عمان والبحرين وهجر واليمامة ومناطق العراق والشام ومناطق متفرقة أخرى (٩) . وأنتجت مختلف المحاصيل والفواكه والخضر (١٠) ومهما يكن الامر فلقد مارس العرب الزراعة واطلقوا عليها أسم الفلاحة (١١) والتي عرفت بأنها العلم الذي يهتم بالنبات من حيث غرسه والتعهد به بالسقي والتنمية الى أن ينضج ثم يبدأ حصاده (١٢) ، وتعرف أيضاً بانها علم يتدبر النبات من اول نشوئه الى اكتمال نضوجه وذلك باصلاح الارض وتسميدها وسقي النبات وحمايته من الافات الزراعية (١٣) والزراعة تأتي بمعنى الحرث (١٤) ، فالزراعة هو طرح البذر (١٥) .التي تتعلق بأمر النبات والاهتمام به .

وتعد الزراعة أقدم وجوه المعاش إذ انها بسيطة وفطرية وطبيعية وبقية الصنائع متأخرة عنها (١٦) وذلك لأن اكتشافها جاء بدافع الغريزة إذ استطاع الانسان القديم أن يكشف أن البذور إذا سقطت بالارض وغطتها التربة وتوالت عليها الإمطار تبدأ بالنمو والنضج الى أن صارت الزراعة نشاطاً مارسه الانسان لدرجة أنه ما يفيض عن حاجته للخبز والبيع (١٧) .

ولقد مارس الزراعة والحرث آدم (عليه السلام) بالهام من الله تعالى ثم شيت (١٨) بن ادم (عليه السلام) ، ثم إدريس (عليه السلام) ثم كان الطوفان الذي فرقه ففسدوا كل ما تعلموه في سابق أمرهم (١٩) . وقابيل بن ادم (عليه السلام)، وأعطى دليل على قدم معرفة العرب بالزراعة (٢٠) .

ومما يؤكد المستوى المتطور الذي بلغه النشاط الزراعي في اقتصاد ما قبل الإسلام ، سعة الإنتاج الزراعي ليشمل الإنتاج لإغراض التبادل ، فقد كانت مكة تستورد الزبيب من الطائف ، ويروى أن الزبيب كان يحمل منها للعباس بن عبد المطلب الذي ينبذها في السقاية للحاج ، وكما أن اليمامة كانت تمون مكة بالحبوب ، ولما اسلم (ثمامة بن أثال بن النعمان) سيد أهل اليمامة ، أراد العمرة ، فلما سمع به المشركون جاؤوه فقالوا : ياثمامة صبوت وتركت دين أبيك قال : لا أدري ما تقولون إلا أنني أقسمت برب هذه البنية لا يصل إليكم من اليمامة شيء مما تتفقون به حتى تتبعوا محمداً من آخركم وما كان لسيد اليمامة أن يحدث قريشاً بهذه اللهجة لو لا معرفته باعتمادهم الرئيس على أنتاج اليمامة من الحبوب . وكان كثير من الإنتاج الزراعي الذي تنتجه يثرب وحضر موت يصدر الى سائر البلدان .

عرف العرب قبل الإسلام كيف يختارون أجود أنواع التربة الملائمة للزراعة حيث كانوا يختارون الارض اللينة وهي أحسن أنواع الأراضي لاعتدال رطوبتها وبرودتها وهي تتقبل كل انواع المياه سواء الجارية ام الجوفية

لا بد من اختيار الارض التي تلائم المحصول الذي يزرع بها ، فالأرض هي أساس النبات الذي ينمو فيها فهي أساس نمو النبات (٢١) . وتعد التربة البركانية من أهم الترب من حيث الخصوبة مما جعلها صالحة للزراعة وهذا النوع من الترب ما امتازت به أراضي يثرب (٢٢) ، والأراضي الزراعية ذات أنواع مختلفة تتمايز فيما بينها من حيث جودتها للزراعة . ومن أهم أنواعها : .

الأراضي التي يكون لون التربة يميل الى السواد وهي ارض تسقط عليها الإمطار أكثر من غيرها (٢٣) ، وتتجح في هذه التربة زراعة المحاصيل الزراعية كافة خاصة في فصل الشتاء أما في فصل الصيف فلا بد من سقيها بالماء الكثير والا هلك النبات بها (٢٤) . وهذه الأرض تكونت بفعل البراكين بل هي أثر من أثارها (٢٥) . وان هذه الاراضي اشتهرت بالخصوبة وتتقبل نمو كافة المحاصيل (٢٦) ولقد اشتهرت بالخصب والنماء وكثرة المياه ومنها الأراضي القريبة من خيبر (٢٧) وتشير بعض المصادر التاريخية ان هذه المنطقة خير القرى العربية من حيث الإنتاج الزراعي (٢٨).

هذا وقد عرف الفلاحون التركيب الزراعي وهو من أساليب الزراعة التي يتم فيها تركيب نوع من براعم ثمار الأشجار إلى أصل شجرة ثمر آخر (٢٩).

كما عرف العرب قبل الإسلام التقليم ويقصد به قطع الأغصان اليابسة من الأشجار حيث أن بقاءها يؤدي إلى ضعف النبات (٣٠). وفي الحقيقة أن النخلة كانت هي ملكة عالم النبات في الجزيرة العربية فقد كان التمر من أهم المحاصيل الزراعية في بلاد العرب ، فهو مادة ضرورية يعيش عليها معظم العرب ، وكان أهل مكة يمتارون ما يحتاجون اليه من تمر

يثرب، فقد روي أن عبد المطلب بن هاشم بعث أبنه عبد الله بن عبد المطلب إلى المدينة يمتار له تمراً فنزل على أخواله من بني النجار (٣١) .

ومن بديع ما يمكن تدوينه أن للعرب دراية جيدة لمعرفة صلاحية الأرض للزراعة فمثلاً إذا كان لون التربة يميل إلى الاصفرار تكون فائدتها أقل من الأراضي الأخرى وتحتاج إلى سماد ولكن هذا السماد لا يمازجها سريعاً كما في باقي الأراضي لذا تحتاج إلى تقليب مستمر وتكرار عملية تسميدها، (٣٢).

كما ان هناك نوع من الأراضي يميل لون التربة إلى البياض وتتصف بأن تربتها باردة (٣٣) ، وتحتاج إلى سماد كثير ، كما أنها لا تحتل الماء الكثير لبرودتها ولكنها تحتاج إلى التقليب الكثير (٣٤) .

وهناك الأراضي الجبلية التي يغلب عليها طابع البرودة وليس لها مسامات مفتوحة (٣٥) ، وتصلح لزراعة بعض النباتات مثل الزيتون والأجاص واللوز والتين (٣٦) لكنها تحتاج إلى الماء الكثير والسماد (٣٧) . ولقد عرف عن أهل اليمن بزراعتهم للجبال التي تسقط عليها الأمطار بفعل الرياح الموسمية (٣٨) . حيث استخدموا نظام المدرجات (٣٩) . واهم النباتات التي زرعت بهذه الطريقة هي الكروم (٤٠) ، كما استغل العرب الأراضي الواسعة بين الجبال (٤١) . والتي تسمى (الدارة) وهي رمل مستديرة وسط فجوة (٤٢) ، وفي الغالب تنبت بها الأعشاب والنباتات الصحراوية (٤٣) وتكون هذه المناطق أماكن لرعي الحيوانات (٤٤) وفضلها العرب كمناطق للسكن بها كونها خصبة (٤٥) .

ومن الأنواع الأخرى من الأراضي هي التي تكون تربتها رملية وتتأثر بالجو المحيط بها فهي حارة في فصل الصيف وباردة في فصل الشتاء وهذا يؤدي النبات الذي يغرس بها (٤٦) . وهي من الأراضي التي تحتاج إلى سماد كثير ولكن يكون احتياجها للماء قليلاً . وينبت في هذه التربة نوعاً من الشجر يسمى (الالاة) ، وهو شجر اصفر مر الطعم ثمرته تشبه سنبله الذرة (٤٧) . كما أن الماء يدخل إلى أعماقها بسهولة عند السقي فتبدو للعيان كأنها لم تسق (٤٨) ، واجود الأراضي هي التي لا يكثُر بها التشققات إذا اشتد عليها الحر وإذا كثُر المطر لا يكون فيها زلق ولا يطول مكوث الماء على وجهها (٤٩) . واستخدموا العرب طرق عديدة لمعرفة جودة الأراضي الزراعية فقد قام العرب بعدة تجارب لمعرفة جودة الأراضي الصالحة للزراعة نتيجة ممارساتهم لهذه المهنة ، ومن الطرق التي عرفوها هي ان كثرة الاملاح على سطح التربة الخارجية يعطي لهم ان هذه التربة قليلة الخصب ولا تنبت فيها النباتات التي توفر لهم محصول جيداً. (٥٠)

ملاحظة ما ينبت على الأرض من نبات من حيث كثرته فكلما كثر النبات ونما نمواً

جيداً دل هذا على صلاحية التربة للزراعة . (٥١)

وهناك علامات اخرى لمعرفة صلاحية لتربة للزراعة فأذا لوحظ أثناء السقي أن الطين أكثر من الرمل دل هذا على أن التربة جيدة وصالحة للزراعة (٥٢) وإذا حوت التربة حجارة كبيرة عمل هذا على أفساد جودة التربة كون الحجارة تصبح حارة في فصل الصيف فتحرق جذور الشجر وبعكسه في الشتاء فهي تكون باردة وتضر هذه البرودة جذور الشجر (٥٣) .

وعني الفلاحون بالتسميد من أجل زيادة خصوبة الأرض وذلك باستخدام الأسمدة وعرفوا أنواعها حيث استخدموا فضلات الحيوانات التي تخلط من عدة أنواع من هذه المخلفات في حفرة ويزداد عليها الماء حتى تتفسخ ولا يستعمل إلى بعد يمضي عليه عام (٥٤) ، فضلاً عن ذلك فقد أهتم الفلاحون في انتقاء البذور الجيدة لغرض استخدامها في الزراعة (٥٥) .

وعرفت عدد من المدن والقرى في الجزيرة العربية بزراعتها أشجار النخيل مثل يثرب وخبير ودومه الجندل التي كانت تشتهر أسواقها بعرض أنواع من التمور وكان أشهرها التمر الصيماني الذي يجلب من اسواق خبير (٥٦) ، وهنا لا بد من التأكيد أن الزراعة كان اعتمادها على الماء فكانت نظرهم له نظرة قائمة على التقديس فجاءت مقترنة مع تقديس الشعوب والامم العديدة له فاسموريون قدسوا المياه واتخذوا اشعار الاناء الفوار الذي يمثل دجلة والفرات وهذا الشعار سامي الأصل إذ أن الاله (انكي) أو (ايا) يظهر وهو حامل هذا الشعار بصفته راعي لشؤون المياه ويعني أيضاً تقديس النهرين (٥٧) أما الفرس القدماء فلقد قدسوا الماء فالماء عند الزردشتية مقدس واعتبروا أن أقدسية الماء تقتضي الاستفادة منه للشرب وروي المزروعات من أجل أظهار الخير على الأرض المزروعة . (٥٨)

ونستطيع ان نتلمس مدى اهتمام العرب قبل الإسلام بالزراعة لأنها تعد النشاط الاقتصادي الأوسع انتشاراً بينهم ، فقد مارسها أغلب الناس لعدة أسباب منها، اعتماد حياتهم وحياة مواشيهم على ما تدره الأرض من نباتات ، ولوفرة العوامل التي تساعد على انتشار مهنة الزراعة .

المبحث الثاني

الأحوال التجارية

إن استقرار الأوضاع السياسية نسبياً عند العرب قبل الإسلام أدى الى ازدهار النشاط الاقتصادي لاسيما في مجال التجارة ، فلقد كان هناك اهتمام بالقوافل التجارية ومراقبة الطرق المؤدية الى مختلف البلدان وعقد الاتفاقيات بين القبائل لسلامة مسير تلك القوافل ، ويمكن القول أن تشجيع حركة التجارة وتأمين طرق القوافل من أهم العوامل التي ادت الى زيادة الدخل. وتكاد تكون التجارة من أهم النشاطات الاقتصادية التي تميزت بها الجزيرة العربية قبل الإسلام، وقد عدها القوم ((من أشرف الأسباب وأعلاها قدراً)) (٥٩) .

وكانت المسافة بين منزل وأخرى غير متباعدة أثناء سير القوافل التجارية إذ لا بد لتلك القوافل من نزل ومواضع معينة تستريح فيها للزود بالماء والزيد الذي تحتاج اليه (٦٠) وعلى الرغم من قدرة الأبل العالية على تحمل العطش وقساوة المناخ إذ أن بمقدور هذه الحيوانات أن تسير مسافة تتراوح بين ٢-٢٠٠ كم قبل ورودها الماء (٦١)

وتعد مواطن الابرار من أهم العوامل في تشكيل المنازل على الطرق التجارية ولأن الماء هو اكسير الحياة بالنسبة للمسافر وهو أهم من الطعام فقد كان طعام المسافرين في ذلك الوقت قليل وبسيط (٦٢) ومن المؤكد أن الطرق التجارية أدت دوراً بارزاً في حياة سكان الجزيرة العربية قبل الأسلام وكانت هذه الطرق عاملاً من عوامل نشأة المدن والممالك وكثير من محطات القوافل التي تحولت بمرور الوقت الى مراكز تجارية مميزة ، وقد تعود أهمية هذه الطرق ونشوء محطاتها والمدن التجارية الى عوامل قد تكون طبيعية أو تكون عوامل تاريخية ، وقد انفرد الحجاز _ الذي كان موطن الدعوة الإسلامية بموقع مركزي جيد إذ كان يحجز بين الشام واليمن ، وكان يتصل عبر طرق تمتد الى الكوفة والبحرين ودمشق ومصر واليمن مما أهله لاحتلال دور متطور في التجارة أثر تفاقم الحروب بين فارس وبيزنطة (٦٣) وتضم شبه جزيرة العرب تنوعاً جغرافياً فالطبيعة فيها ليست واحدة او متماثلة في جميع ارجاءها وهذا الامر ادى الى تنشيط النواحي الاقتصادية لاسيما التجارة ولأختلاف في البيئة ادى الى تنوع طرق المعيشة (٦٤) .

ولقد غذت حركة التجارة ، العقل العربي وجعلته ينفتح على تجارب الأمم المجاورة ، ويتفاعل مع معطياتها الحضارية ، فالتاجر جواب يحمل البضاعة بيد ويحمل الخبرة باليد الاخرى ، وأذا كانت اليمن قد نشطت تجارياً واحتكرت الاتجار ببعض البضائع ، وكانت تدمر والحضر من قبل قد وجدت بفعل الموقع التجاري ، وكان لا بد لهم من الاتصال بالحضارة المجاورة ، فان الحجاز قد عرف التجارة أيضاً وكان له انفتاحه على الدول المعاصرة ، فقد كان لقريش رحلة الى الشام واليمن (٦٥) ، ونظراً لانهم كانوا تجاراً (٦٦) فان تأمين انتظام التجارة أملى عليهم عقد اتفاقيات مع القوى السياسية المؤثرة في عصرهم ، ((كان هاشم بن عبد مناف صاحب ايلاف الرحلتين ، وأول من سنها ، وذلك انه اخذ لهم عصماً من ملوك الشام ، فاتجروا آمنين ، ثم أن أخاه عبد شمس أخذ لهم عصماً من صاحب الحبشة ، واليه كان متجره ، وأخذ لهم المطلب بن عبد مناف عصماً من ملوك اليمن ، وأخذ لهم نوفل بن عبد مناف عصماً من ملوك العراق ، فألفوا الرحلتين في الشتاء الى اليمن والحبشة والعراق ، وفي الصيف الى الشام (٦٧) . واذا أخذنا ما سبق كمسلمة _ مع تحفظنا من أمكانية الوضع في القرون التالية لظهور الاسلام رغبة في منح أسرة النبي (ص) ميزات خاصة ، جاز لنا أن نقرر بأن أولاد عبد مناف كان لهم صلاحية واسعة في عقد الاتفاقيات وان قريشاً قد فوضتهم عقدها ، ولم تكن

الطائف أقل شأنًا من مكة في الانفتاح على تجارب الامم والحضارات القريبة من جزيرة العرب إذ كان لها تجارتها مع العراق والشام واليمن (٦٨) . وحتى يثرب_ التي كانت أقل شأنًا في مجال التجارة من مكة والطائف لم تعد مشاركة في الانفتاح على تجارب الامم الاخرى من خلال التجارة (٦٩) .

وقد ظهرت في مناطق مختلفة من الجزيرة دول لعبت دوراً مهماً في التجارة العالمية ، ففي شمال الجزيرة ، وفي المدة من القرن الثاني قبل الميلاد حتى القرن الأول الميلادي ظهرت دولة الأنباط التي شهدت نشاطاً تجارياً متميزاً لوقوعها على الطريق الغربي في الجزيرة بين اليمن والشام وفي القرن الثالث الميلادي ظهرت تدمر كمركز تجاري مهم ، ((على الطريق من العراق الى الشام وهو امتداد الفرع الشمالي لطريق الهند المؤدي الى الخليج العربي)) ، كما شهد العراق نشاطاً تجارياً لوقوعه على الخليج العربي ، كونه المنطقة الفاصلة بين جزيرة العرب وبلاد فارس ، حتى قيل فيه ،من كان منكم يريد الثياب الرقاق والخيل العتاق ، وكنوز الأرزاق والدم المراق ، فليلحق بأرض العراق .

ويبدو أن طريق الصحراء الذي يقع ضمن جزيرة العرب كان نشيطاً بشكل كبير إذ دلت بعض الاكتشافات الحديثة انه كان يسلك في القديم أكثر مما يظن (٧٠) .

وعليه فقد اعتمد البيزنطيون على قوافل البدو التي كانت تحمل لهم البضائع من الهند والصين وفارس واليمن وافريقية وما كانت التجارة في الحجاز لتقتصر على نشاط مكة والطائف ويثرب ، بل أن ملوك الحيرة كانوا يرسلون لطائمتهم كل عام الى عكاظ لبيعها وشراء بضائع أخرى (٧١) . وقد ترتب على هذه الحيوية في التجارة ، أن ظهر كثير من الأغنياء وأصحاب الثروات وبقية الطبقات الفقيرة على حالها وقدم لنا الشعر الجاهلي أشارات دقيقة تدين هذا التفاوت في الثروة فالأعشى يقول:-

((تبيتون في المشتى ملء بطونكم وجاراتكم غرثى بيتن خمائصا)) (٧٢)

وقصة الثراء هذه لها دلالاتها الاجتماعية والفكرية التي يمارسها بعض التجار الكبار في تضليل الناس عن المصدر الحقيقي للثروة ، وترجع سبب الثروة الى أصل لا ينسجم مع منطق العلم، (٧٣) .

وأن الطبقات الغنية والارستقراطية تحاول دوماً أن ترجع أصل الثروة الى الحظ والمصادفة والى جذر أسطوري ، مستهدفة من وراء ذلك حجب حقيقة كون الثروة قد جاءت من مصادر فيها قسوة وتعسف ، بل سرقة وأعمال غير مشروعة . وهذا أمر ليس بمستبعد على الكثير من التجار وكان للبعض منهم أماء ضرب عليهن أجره بغاء (٧٤) ، وهو وأن كان نموذجاً فريداً الا انه يجد من يناظره من التجار الآخرين في عصر كانت النزعة الفردية سائدة ، بدلالة أن القرآن الكريم قد شن حرباً لا هوادة فيها على فئة التجار وممارساتهم الفردية وتهدهم

بالويل ((وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ)) (٧٥) معتبراً سعة الثروة أمراً غير مرغوب فيه ((الْهَآكُمُ التَّكَاثُرُ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ)) (٧٦) . وبين لهم أن الثروة تورث الطغيان والجبروت ((كلا أن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى)) (٧٧) . وانتقل في آيات أخرى لينتقد بقوة بخل التجار وسلوكهم الفردي الأناني ((كلا بل لا تكرمون اليتيم ، ولا تحاضون على طعام المسكين ، وتأكلون التراث أكلاً لما ، وتحبون المال حباً جماً)) (٧٨) ، وهذه الحملة الشديدة على التجار الأثرياء ترفض هيمنة النزعة الفردية عندهم ، وتتسجم مع الموقف المبدئي للإسلام الذي يعد الثروة الواسعة من أسباب الشرور الاجتماعية ، وهي تضعنا أمام موقف نقدي وصارم من سلوكهم .

احتلت التجارة مكانة واسعة في حياة عرب الحجاز ((والدليل على ذلك كثرة التعابير المالية والتجارية التي استعملها القرآن كالحساب والميزان والقسطاط والذرة والمثقال والقرض)) (٧٩) ووصل تأثير التجارة في نفوس العرب أن ظهرت ظاهرة النسيء التي تعني التأجير بمعنى أنهم كانوا يحلون الشهر من أشهر الحرام ويحرمون مكانه شهراً من أشهر الحل (٨٠) . كما أن الأشهر الحرم وهي ((ذو العقدة وذو الحجة والمحرم ورجب)) منحت المجال للتجارة وقد وردت أسماء الأشهر الحرم في القرآن الكريم ((فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْصُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ)) ، ((إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ)) ، ((الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاقْتُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ)) (٨١) أضف أن الحج نفسه لم يكن بعيداً عن التجارة . ارتبط بالتجارة كثير من الفعاليات الاقتصادية التي كانت مؤشراً واضحاً على حيوية التجارة ، فقد عرفوا الاحتكار (٨٢) والقروض والشركة (٨٣) والعلاقات الائتمانية من خلال السفنجة _ وهي كتاب صاحب المال لو كي له أن يدفع مالاً قراضاً يأمن به خطر الطريق (٨٤) إضافة الى الوكالة والوساطة (٨٥) وتعاملوا بالمضاربة أي المشاركة بالمال من جانب وبالعمل من الجانب الآخر .

والظاهرة التي تستحق أن نقف عندها ونحن نتحدث عما يرافق التجارة من فعاليات هي الربا الذي يعني القرض بفوائد عالية ، ويبدو أن الربا قد تسرب الى الحياة العربية عن طريق اليهود الذين وجدوا في المستعمرات الزراعية وفي الطائف (٨٦) ولعل سبب أقبال سكان الحجاز على التعامل بالربا يرتبط بالبيئة الطبيعية التي لم تمكن أصحاب الثروة من استثمار

أموالهم في الزراعة نظراً لمحدودية الأرض القابلة للزراعة ، إضافة الى ضعف الصناعة التي تشجع على استثمار الأموال فيها فالتجأ الأثرياء الى الريا بديلاً عنهما بغية زيادة الثروة .

أن واحدة من أهم القضايا المتعلقة بالتجارة تكمن في أنها كانت معبرة عن نمو الاقتصاد الحضري وسعيه نحو احتواء اقتصاد البدو ثم أضعافه للنظام القبلي بحيث ترتب على ذلك أن بدأ التفاوت في الثروة بين أبناء القبيلة الواحدة والقبائل القريبة أو البعيدة عن خطوط التجارة يظهر بشكل أقوى من السابق (٨٧) ، وأدى هذا الوضع الى ظهور ملامح انهيار التضامن القبلي ، فالحياة في الصحراء تستدعي التضامن والنصرة وخاصة بالنسبة للأقارب ... ولكن الفردية التجارية تملّي غير ذلك ، فالتجار الكبار يضعون مصالحهم فوق كل شيء ويجدون سبباً للاتحاد بأقرانهم من التجار أكثر من اتحادهم بعشائرتهم ، وقد حل محل الوحدة التي كانت القبيلة قوامها ، وحدة أخرى تنطلق من مصالح تجارية مشتركة ، ولكن هذه الوحدة لم يكن بمقدورها في مجتمع تجاري أن تستقل من خلال صيغة جديدة كل الجدة ، لذلك ظلت لصيقة بأوضاع ومواقف اجتماعية أقدم منها عهداً وتتمثل في الإطار القبلي (٨٨)

بيد أن هذا الأمر كان متمثلاً في القبائل البدوية المرتبطة بالعملية التجارية وليس كل البدو ، ومن هنا يكون الرأي الذي يرى أن التجارة لم تدخل تعديلاً يذكر على نمط أنتاج الشعوب التي لعبت دور الوسيط . غير متماسك (٨٩) ، كما أن موقف من يذهب الى أن الاقتصاد الرعوي بقي ملصقاً على الفعاليات التجارية ولم يقطع منه أي فائض من التجارة لصالح البدو يقع في تعميم ويغفل أثر التجارة في إحدى تحول في البيئة القبلية والاجتماعية (٩٠).

أن هذا الدور الذي مارسته التجارة كعامل توحيد أولاً ، والدور المتمثل في احتواء وإضعاف الكيان القبلي _ المشترك في العملية التجارية _ ثانياً ، قد خلق تناقضاً بين قيم القبيلة وقيم النزعة الفردية المتمثلة في التجارة ، وهذه سمة مميزة من سمات المراحل الانتقالية .

ونستطيع ان نتلمس انه قد رافق التجارة نشاط مباشر للاسواق التي أخذت تتطور حتى أصبحت في أوج نموها في القرن السابع الميلادي (٩١) ، وقد كان لهذه الاسواق أهمية كبيرة دفعت بروكلمان الى عدّها مع الموحد الإيديولوجي ((الدين الإسلامي)) من الأسباب الأساس في توحيد ((نظرة العرب الى العالم وصهر عاداتهم ومفاهيم الشرف عندهم في بودقة واحدة ، ومنحهم لغة شعرية مركزة تسمو على جميع اللهجات)) (٩٢) ، والملاحظ أن الاسواق لم تُفد العرب التجار من حيث البيع والشراء فحسب ، وإنما أفادت البدو الذين كانوا يأخذون جعلاً نظير الحماية والخفارة والخدمة في القوافل الوافدة الى الاسواق (٩٣) ، ونظراً لأهمية الاسواق في الحياة العربية قبل الاسلام وانسجاماً مع المفاهيم القبلية ورغبة في الاستفادة القصوى من السوق ، فقد كانت بعض الاسواق تخضع لسيطرة بعض القبائل اذا وقعت في

منطقة نفوذها (٩٤) ، ومع أن المؤرخين العرب يختلفون في عدد هذه الاسواق فابن حبيب يعدها اثنتي عشرة سوقاً (٩٥) ، واليعقوبي يرى أنها عشر أسواق (٩٦) في حين يرى الهمداني أنها أحد عشر سوقاً (٩٧) ، في حين يختلف آخرون في تحديد عددها .

وتشير الكثير من الروايات أن هذه الأسواق كانت محطات تجارية وبعضها أماكن مقدسة لها أصنام تعبدها القبائل وتأتي للتقرب إليها في مواسم معينة هي مواسم حجها فتحولت هذه المواسم والمحطات التجارية الى أسواق للبيع والشراء (٩٨) ، إلا أن المهم في هذا المجال ليس عدد الاسواق بشكل دقيق أذ يندر أن نجد اتفاقاً على تحديد العدد بين المؤرخين ، بل المهم معرفة أن الاسواق كانت موجودة كظاهرة بارزة في حياة العرب قبل الإسلام .

كانت أسواق العرب تنتقل في شبه الجزيرة بحيث تضمن تغطية أغلب الأماكن أن لم يكن جميعها (٩٩) ، ومن هذه الاسواق ما كان يقتصر نشاطه في الأغلب على ما كان يجاوره من الإحياء والقرى ، وما ينزل بساحته من القبائل ، ومما يميز هذه الاسواق أنها تتخصص من حيث الصبغة والإرادة العامة لها فنجد هناك أسواق ذات صبغة عربية بعيدة عن تدخل أجنبي سواء (روماني أو فارسي) مثل هذه الاسواق سوق عكاظ ودومة الجندل ، ومنها ما كان عاماً فقد اليه الناس من أطراف شبه جزيرة العرب (١٠٠) ، وهناك اسواق موسمية تقام في أماكن معينة ، مرة في السنة أو الفصل أو الشهر أو الأسبوع ، والسنوي أو الفصلي منها أعم وأشيع لارتباطه بالإنتاج الزراعي والحيواني ، أما الجماعات الحضرية فعندهم الاسواق الثابتة ، لان لكل مدينة أسواقها تباع فيها مصنوعات وغلالتها وتحمل إليها ما تحتاج اليه مما تنتجه البلاد (الآخرى) (((١٠١)

كان رؤساء القبائل والملوك يتنافسون في السيطرة على بعض الاسواق لتصريف بضائعهم وتحصيل الضرائب (١٠٢) ، ويعكس حضور قريش لهذه الاسواق موقعها الاقتصادي والديني في نفوس العرب (١٠٣) ، مما يشير الى قوة تحالفهم مع القبائل . ويلاحظ أن الفرس كانت تسيطر على اسواق معينة كالمشقر ، وكانت مع اسواق أخرى تخضع لضريبة العشور (١٠٤) ، مثل صحار ودبا، في حين كانت أسواق أخرى لا تخضع للعشور لانها ليست أرض مملكة (١٠٥) ، وربما كانت أسواق العرب هذه ، صورة مصغرة للتوحيد وللتناقضات في الوقت نفسه أذ ((كان في العرب قوم يستحلون المظالم إذا حضروا هذه الاسواق فسموا المحلون . وكان فيهم من ينكر ذلك وينصب نفسه لنصرة المظلوم والمنع من سفك الدماء وارتكاب المنكر فيسمون الذادة المحرمون)) (١٠٦) إلا أن أهم ما يعيننا من شأن هذه الاسواق هو ادراكنا أن أهم الاسواق القريبة من مكة كانت سوق عكاظ التي كان لها شأنها في عملية التوحيد الفكري واللغوي والاقتصادي ، إذ كان ينزلها قريش وسائر العرب (١٠٧) ، والمعروف أن هذه الاسواق الموسمية التي كانت تقام قريبة من مكة مثل عكاظ وذو المجاز وذو المجنة

، قد حدث بالرسول (ص) أن يعرض نفسه في المواسم (١٠٨) بما يوحي بأنها كانت منبراً ثقافياً إضافة الى قيامها بمحاولة تحقيق اندماج اقتصادي لشبه الجزيرة العربية ، وتجاوزت حالة العزلة فنتج عن هذا توحيد عادات ولغة العرب وإحساسهم بالحاجة الى الوحدة السياسية .

الصناعة

لعبت الصناعة دوراً مهماً في ازدهار الحياة الاقتصادية عند العرب قبل الإسلام ، فلقد توفرت لدى السكان أسباب قيام صناعات متنوعة وذلك لتوفر المواد الأولية الزراعية والحيوانية، فانتشرت الصناعات والحرف في معظم مناطق الجزيرة العربية ، وبدرجات تطور مختلفة ترتبط بمدى الاستقرار والحاجة الى هذه الصناعة أو تلك ومدى توفر المواد الأولية المطلوبة للصناعة ، لذا كان طبيعياً أن تكون الصناعات والحرف في المراكز الحضرية أكثر منها تطوراً في المناطق البدوية وعلى العموم فان الصناعات والحرف التي كانت قائمة هي الصناعات الغذائية وصناعة الجلود ، والصناعات النسيجية والحيكاة والخياطة ، والنجارة وبعض أنواع الصناعات المعدنية كالصياغة والحدادة . ففي يثرب قامت بعض الصناعات التي تعتمد على الانتاج الزراعي مثل صناعة الخمور والمكاتل والققف التي تعتمد جميعها على زراعة النخيل ، كما قامت فيها التجارة والصناعات المعدنية مثل صناعة الأسلحة والدرع والمصوغات كالحلي وأدوات الزينة والتحف ، حيث أحترف يهود بني قينقاع هاتين الصناعتين ، وقد غنم المسلمون كثيراً من الدروع والسيوف والأقواس عند إجلائهم يهود بني قينقاع عن المدينة ، كما وجدوا في الحصن آلة للصياغة .

وكان لنشاط الحركة التجارية أثرها في رواج المنتجات الصناعية ، حيث سارت القوافل محملة بالسلع والبضائع الى مختلف المراكز التجارية لغرض تصريفها ، وهذا يتضح أثره في تشجيع الصناعيين على زيادة إنتاجهم وأستمرارية الأستهلاك .

والثابت . أن الكثير من القبائل العربية قبل الإسلام التي مارست الصناعة ولا سيما في المدن مثل مكة ويثرب أستطاعت من خلال تعاملها مع الدول المتحضرة ذات النظم والمعاملات الاقتصادية المتعارف عليها سواء في بلاد الشام أو في العراق أو في اليمن الى التعرف على تلك النظم ونقلها الى مدنهم في الجزيرة العربية والاستفادة منها في تطوير بعض الصناعات المحلية .

ويمكن القول أن مكة اشتهرت بكونها عاصمة العرب التجارية ومركزهم المالي الرئيس وأن أهلها احترفوا التجارة لأنها في ((واد غير ذي زرع)) لكنها عرفت أيضا الصناعات المختلفة التي اشتغل فيها أناس من إشراف مكة ومشاهيرها (١٠٩) ومن الصناعات التي قامت في مكة الأسلحة من رماح وسكاكين وسيوف ودرع ونبال وصناعة الفخار ، من قدور وجفان وأباريق وصناعة الأسرة والأرائك كذلك صناعات البزازه والخياطة والجزارة والخمارة

والنخاسة (١١٠) ومعالجة الخيل والإبل (طب الحيوانات) والغناء والموسيقى والصياغة والحجامة (١١١) .

والحقيقة أن وجود الصناعات في مكة واشتغال رجالات قريش بها ، إنما يساعد على تفهم طبيعة النشاط الصناعي والحرفي ليس في مكة وحدها بل في عموم الجزيرة العربية ، ذلك أن مكة كما عرف عنها ، تخلو من الأراضي الصالحة للزراعة وقيام صناعات متعددة فيها ، وعلى نحو خاص صناعة الأسلحة ، ويؤكد أن الصناعة فيها غير مرتبطة بالزراعة أولاً ، وأن إنتاجها معد للتبادل وليس لسد حاجات الاستهلاك الذاتي منها او للمقايضة بهدف الحصول على قيم استعماله بديلة ،

أن النشاط الاقتصادي قد بلغ مستوى من التطور - انتهى الى قيام التخصص في مجال الحرف والمهن بين السكان ، وبإضافة التبادل النقدي الى هذه الحقيقة ، ونلمس بوضوح دور الصناعات والحرف في ازدهار التجارة ليس في مكة فحسب ، وإنما في عموم الجزيرة العربية ، لأن ما يصح على مكة في مجال الصناعات والحرف يصح وبدرجة أكبر على بقية المناطق الأخرى ، كالتائف التي اشتهرت، بصناعة الجلود ((وكانت مدابغها كثيرة ومياها التي تنساب الى الوادي تبعث روائح كريهة)) (١١٢) وعرفت الطائف أيضاً بصناعات التجارة والبناء والحدادة وامتلك سكانها مهارة في الأمور العسكرية بما في ذلك صناعة العرادات والمجانيق والدبابات والضبور وأوتاد الحديد المستخدمة في الحرب ، وفي يثرب قامت صناعات عديدة خاصة تلك التي تعتمد على الإنتاج الزراعي كصناعة الخمر من التمور والمكاتل والقفف من النخيل والنجارة من شجر الطرفاء والأثل ، كذلك صناعة التحف المصنوعة من المعادن كالحلي وأدوات الزينة وصناعة الاسحلة والدروع ، وعرفت مناطق أخرى بصناعات اقترنت باسمها كالشام ومشارفها التي اشتهرت بالزيت والزبيب والخمر ، وكهجر والبحرين ، حيث التمر الجيد المنقطع النظير كما اشتهر استخراج اللؤلؤ في عمان والبحرين ومناجم الملح في بعض مناطق اليمن كملح مأرب . (١١٣) ومن هنا يتضح ان اشتهار بعض تلك المناطق بإنتاج سلعة رئيسية معينة ... ومن وجهة النظر الاقتصادية فان الإنتاج الكبير ، يشير الى نمو التخصص وتقسيم العمل بدرجة واضحة والى ارتفاع إنتاجية العمل الزراعي .

ونتيجة نشاط الحركة التجارية في الأسواق تحولت الكثير من تلك الأسواق العامرة بالبضائع الى مدن ، وكل مدينة اشتهرت بنوع من الصناعة ، فالتائف مثلاً اشتهرت بصناعة الجلود وقيل عنها ((التائف مدينة جاهلية وهي بلد الدباغ ، يدبغ فيها الالهب الطائفية المعروكة وفي اليمن اشتهرت صعده بصناعة الجلود ، كما ازدهرت اليمن أيضاً بصناعة النسيج والثياب كالبرود والأردية وقد ظلت اليمن محتقظة بمكانتها كأكبر مصدر للبرود الغالية حتى القرن الرابع الهجري ، وذكرت المصادر أنواعاً كثيرة من البرود اليمنية ، وكل منها منسوب الى بقعة

أو مكان في هذه المنطقة أو الى قبيلة من القبائل التي تسكنها وهناك أربعة عشر نوعا من أنواع الثياب اليمنية المشهورة ، ومما يؤكد سعة الإنتاج أن الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) صالح أهل نجران على إلفي حلة تدفع على مرحلتين وفي صنعااء برزت صناعة الخرز والفصوص من العقيق والجزع والذهب ، كما اشتهرت بعض مناطق حمير بصناعة الأسلحة ، وتنتسب الرماح الردينية الى ردينه من ذي يزن . واليمن بصناعة الجلود بالإضافة الى تنوع استخدامات الجلود المصنعة ، وتخصص العاملين في هذه الصناعة بنوع دون آخر ، فاستخدمت الجلود في الأغراض الحربية كأوتار السهام ، والدروع والخوذ الواقية للرأس ، وتغليف الدبابات والمنجنيقات بها ، والتروس ، أما في الإغراض الأخرى ، فقد صنعت منها القرب والدلاء وأدوات السقي والسروج والأحذية والحلي الجلدية كالحجانة (وهي سفينة من أدم ينسج ، وفيها خرز من كل لون ، تتوشحه المرأة . (١١٤) وتبدو عملية التبادل بالإنتاج الصناعي وتصديره الى المناطق المحلية من الجزيرة أو الى الدول الأجنبية من الظواهر البارزة للنشاط الصناعي والحرفي في الجزيرة بل أن هذه الظواهر تشكل نتيجة منطقية لسعة الإنتاج وتقدمه وتنوعه ، مما يعزز أيضاً الاعتقاد بأن اقتصاد الجزيرة كان اقتصاداً بضاعياً نقدياً . وبسبب الظروف البيئية لمدينة مكة ولموقعها الجغرافي أعتمد أهلها في حياتهم بالدرجة الأولى على أعمال التجارة ، ولهذا لم تكن الصناعة في مكة لتنافس الصناعة في بقية مدن الحجاز الأخرى ، ويثرب على الخصوص .

ومع ذلك فقد قامت في مدينة مكة بعض الصناعات المحلية كالنسيج والنحت وصناعة بعض أنواع الأسلحة وبعض الصناعات الأخرى .

ومن أهم هذه الصناعات التي عرفتها مكة ((صناعة الخز ، وهي نساجة تنسج من صوف وابرسم)) (١١٥) ، وبهذا نجد أن أهل مكة حاولوا استغلال صوف الضأن التي يمتلكونها فنسجوا منها ثياب الخز الموشاة بالحرير (١١٦) ولم تكن صناعة النسيج مقتصرة على الرجال فقط في مكة ، بل امتهنتها النساء (١١٧) ، وهي حرفة عرفها المجتمع العربي قبل من خصوصيات المرأة .

وقد استغل أهل مكة الجبال المحيطة بها فاقتلعوا حجارها وقاموا بقطعها وتسويتها ونحتها فصنعوا منها البرم (١١٨) ، وكان رجال من أهل مكة يبيعونها في الأسواق ومنهم أمية بن خلف الجمحي (١١٩) ، ويبدو أن النساء شاركن الرجال في بيع البرم وقد تأيد لنا ذلك من قول الشاعر : والبائعات بجنبي نخلة البرما . (١٢٠)

وأهل مكة ينحتون الأقداح (١٢١) . وممن كان يعمل أبو رافع مولى العباس بن عبد المطلب . ومن الصناعات التي ظهرت بمكة صناعة الأسلحة ولا سيما السيوف وأعمال الحدادة وفيما روي عن حكيم بن حزام أنه قال لرجل من قریش : ((رأيت أباك قينا يضرب الحديد

بمكة)) . وكان العاص بن هشام المخزومي ((قينا يعمل الحديد)) (١٢٢) السهام العربية ،
وممن كان يعمل بها سعد بن أبي وقاص .

ويبدو أن أهل مكة كانوا يستوردونها ثم يصنعونها ويعملونها سهاماً ، حيث أشارت
بعض المصادر الى أن أهل مكة يبرون النبال دون أن تشير الى قطعها وصناعة النبل بمكة
صناعة قديمة منذ عهد أسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام الذي يبيري النبل ويصلحها .
(١٢٣)

ومن الصناعات التي عرفت بمكة خياطة الثياب خاصة وأن بعض تجار مكة كانوا
يستوردون البز من اليمن ، فقد روي أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حضر سوق
عباشه قبل البعثة فاشترى منه بزاً من بز الجند ، وجلبه الى مكة وباعه بأسواقه (١٢٤) .
وكانت يثرب أظهر من مكة في النشاط الصناعي إذ كانت تقوم بها صناعات متعددة ومختلفة
أهمها تلك الصناعات التي تعتمد على الإنتاج الزراعي ، كما تقوم بها صناعات كانت
ضرورية للإعمال الزراعية ، وصناعة الحلبي والأسلحة وصناعات أخرى مما تستلزمه حياة
المدن وكان في مدينة يثرب صناع متخصصون احترفوا أنواعاً من الصناعات وبرعوا فيها
وأتقنوها .

ويأتي في مقدمة الصناعات التي كانت تعتمد على الإنتاج الزراعي في يثرب صناعة
الخمور ، ولكن كان أغلبها بأيدي اليهود لاسيما بنو قينقاع إذ كانوا يملكون سوق يسمى (سوق
قينقاع) (١٢٥) ، ويبدو أن لوجود اليهود في يثرب أثراً كبيراً في صناعة الخمور وإتقانها ،
حيث اشتهرت يثرب بجرار أطلق عليها اسم المزفت والحنثمة والدباء والنقير كانوا ينتبذون فيها
الخمور فكان النبيذ يغلي فيها سريعاً ويسكر (١٢٦) .

ومن الصناعات المهمة الأخرى التي تعتمد على الإنتاج الزراعي صناعة القفاف حيث
كان من أهل يثرب من يحوص سعف النخيل ويصنع منه أشكالاً متعددة من القفف فمنها عملوا
الزبيل - الزنبيل - الذي كانت المرأة تجعل فيه قطنها ، كما صنعوا نوعاً آخر من القفف إذ
يجعلون لها معاليق يعلقونها بها في آخرة الرجل يلقي الراكب زاده وتمره وهي مدورة كالقرعة ،
وصنعوا نوعاً آخر من القف يشبه الزنبيل ولكنه صغير يجتني فيه الرطب وتضع فيه النساء
غزلهن . وصنع أهل يثرب من الخوص المكائل (١٢٧) . وكانت تستعمل لحمل التمر والعنب
وتستعمل في نقل التراب . (١٢٨) .

وتعد صناعة الخوص من الصناعات المهمة والمرحلة في يثرب ، وقد كان سلمان
الفارسي (رضي الله عنه) قد تعلم صنع الخوص من مواليه في يثرب قبل الإسلام ، واستمر
يعمل بها بعد أسلامه (١٢٩) ، فضلاً عن أن أهل يثرب كانوا يفتلون الحبال من الصوف

والليف (١٣٠) وكلاهما يتصل بلوازم المجتمع الزراعي ؛ فالصوف يشير الى تربية الأغنام ، والليف يشير الى النخيل وبساتين التمر .

الخاتمة:

أن موضوع الأحوال الاقتصادية عند العرب قبل الإسلام من المواضع الحيوية التي تستحق البحث والدراسة وتعد الحالة الاقتصادية الأساس الأول في تطور الحياة الاجتماعية والسياسية وقد أزهرت الزراعة بشكل كبير حيث أعتمد الأقتصاد العربي قبل الأسلام على الزراعة والمنتجات الزراعية ويمكن أيجاز أهم ما جاء في البحث من نتائج كالآتي .:

- وضح البحث أهمية الزراعة كركن اقتصادي ومورد أساسي عند العرب قبل الإسلام و شجع نجاح زراعة المحاصيل الزراعية وتنوعها على قيام حركة التبادل التجاري .
- معرفة العرب بعلم الأنواء وذلك بالتنبؤ بمواعيد سقوط الأمطار وذلك من خلال العديد من علامات الاستدلال كألوان السحب وإشكالها .
- أستخدم العرب قبل الإسلام أساليب علمية في طريقة الزراعة وتحسين خصوبة الأرض من خلال أستخدام الأسمدة وطريقة تحضيرها وأستخدام البذور الجيدة .
- بين البحث المبادئ الأساسية لمواضع تواجد المياه الجوفية وطرق الاستدلال عليها ومعرفة كيفية الاستفادة منها في إنجاح الزراعة .
- عرف العرب قبل الإسلام أنواع الأراضي لا سيما الصالحة للزراعة .
- أستفادت شبه الجزيرة العربية من الانتعاش الاقتصادي التي عاشته في المدة التي سبقت الاسلام بفضل نشاط الطرق البرية فأخذت باستغلال ثروتها المالية ، والاقتصادية ولا سيما الزراعية في عملية استثمارها في البيع والشراء ونقل البضائع أو حتى في مجال تقديمها الخدمات الاقتصادية للقوافل المارة بها .
- أن تطور النشاط الاقتصادي عند العرب قبل الأسلام ساعد على تسريع العملية التجارية وتضاؤل الروح القبلية في الافكار والتوجهات الثقافية التي بلورتها الخطب والاشعار التي كانت تلقى في الاسواق المنتشرة في أرجاء الجزيرة العربية .
- بين البحث أن التجارة غدت العقل العربي وجعلته يتفتح على تجارب الأمم المجاورة .
- من خلال البحث في موضوع التجارة توضح ظهور طبقة من الأغنياء وبطرق غير طبيعية عن طريق ظاهرة الربا الذي تسرب للعرب عن طريق اليهود .
- كثرة التعابير المالية والتجارية التي أستعملها القرآن الكريم كالحساب والميزان والمثقال ، والدرهم والقرض ، وكل هذه التعابير أستخدمها العرب قبل الأسلام في أمورهم الاقتصادية .

- نتيجة لأزدهار النشاط التجارية كثرة العديد من الأسواق سواء كانت مؤقتة أو دائمية أقيمت في المدن والقرى وتعد في أيام معينة من الاسبوع او السنة .

هوامش البحث

١. الأحزاب ، أية ٣٣ .
٢. الخولي ، عثمان أحمد ، الزراعة العربية ، مصر - ١٩٧٢ ، ص ١٧ .
٣. الحفيظ ، عماد أحمد ، أثر المشاريع الأروائية في النمو الحضاري ، ندوة الري عند العرب ، ص ٨٥-٩٤ .
٤. الهمداني ، أبو محمد الحسن بن احمد (ت ٣٥٠هـ) ، صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد بن -علي الاكوخ ، بغداد ، ١٩٨٩ ، ص ٨٤ ؛ الرازي احمد بن عبد الله (ت ٤٦٠هـ) ، تاريخ مدينة صنعاء ، تحقيق ، حسين عبد الله العمراني ، ط ١ ، صنعاء ، ١٩٧٤ ، ص ١٢ . .
٥. خليل ، محسن ، في الفكر الاقتصادي العربي الإسلامي ، ط ٢ ، مطبعة الاستقامة، بغداد ١٩٨٦ ، ص ٣٧ .
٦. غويد ، أغناطيوس ، محاضرات في تاريخ اليمن والجزيرة العربية قبل الأسلام ، ترجمة : إبراهيم السامرائي ، بيروت - ١٩٨٩ ، ص ٦٦ - ٦٧ .
٧. علي ، جواد ، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، بيروت ، مطبعة دار العلم ، ج ٧ ، ص ٣١٤ .
٨. غويدي ، أغناطيوس ، مرجع سابق ، ص ٦٦-٦٧ .
٩. خليل محسن ، مرجع سابق ، ص ٣٨ .
١٠. معروف ، ناجي ، أصالة الحضارة العربية ، ط ٣ ، بيروت - ١٩٧٠ ، ص ١٥٨ .
١١. كحالة ، عمر رضا ، العلوم العلمية في العصور الإسلامية ، دمشق - ١٩٧٢ ، ص ١٦٩ .
١٢. ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد ، مقدمة ابن خلدون، ج ١ ، بيروت - ١٩٨١ ، ص ٣٢٢ .
١٣. طاش كبرى زادة ، مفتاح السعادة ، م ١ ، ص ٣٠٨ .
١٤. العيني ، بدر الدين ابي محمد (ت ٨٥٥ هـ) عمدة القارى بشرح صحيح البخاري، بيروت ، ج ١١ ، ص ١٥٣ .
١٥. الزبيدي ، تاج العروس ، تحقيق : عبد الكريم الغريايوي ، ج ١١ ، مادة زرع ، ص ١٤٦ .
١٦. مرجحبا ، محمد عبد الرحمن ، الجامع في تاريخ العلوم عند العرب ، ط ٢ ، بيروت - ١٩٨٢ ، ص ٥٥٠ .
١٧. سوسة ، احمد ، تاريخ حضارة وادي الرافدين . ج ١ ، ص ٢٤٦ .
١٨. صالح ، حسن عبد القادر ، أنظمة الري والزراعة عند العرب، الأردن ، ٢٠٠١ ، ص ١٠٣ .
١٩. -ابن بصال ، ابو عبد الله محمد ابن أبراهيم (ت ٤٩٩ هـ) كتاب الفلاحة ، تحقيق خوشيه ماريبا ، تطوان ١٩٥٥ ، ص ٥٦ ؛ ابن العوام محمد ابن زكريا ، (ت ٥٤٠ هـ) الفلاحة ، تحقيق جوز في ، ص ٥٦ .
٢٠. عمارة ، محمد ، قاموس المصطلحات الاقتصادية ، ص ١٤٠ .

٢١. ابن وحشية ، ابو بكر احمد بن علي ، الفلاحة النبطية ، تحقيق : توفيق فهد ، ط ١ ، دمشق ، ١٩٩٣ ، ج ١ ، ص ٣٠٧ .
٢٢. الشريف ، أحمد ابراهيم ، مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، ١٩٦٥ ، ص ٢٨٨ .
٢٣. النابلسي عبد الغني، (ت ١٠٥٠ هـ) ، علم الملاحة في علم الفلاحة، بيروت ، ١٩٧٩م ، ص ١٣ .
٢٤. أبى بصال (ت ٤٩٩ هـ) ، الفلاحة تطوان ١٩٥٥م ، ص ٤٥ .
٢٥. حمزة ، فؤاد ، قلب جزيرة العرب ، ط ٢ ، الرياض - ١٩٦٨ ، ص ٥٧ .
٢٦. ياقوت الحموي (ت ٦٣٦ هـ) ، معجم البلدان ، بيروت ١٩٧٧م ، ج ٢ ، ص ٢٤٥ .
٢٧. البكري ، منذر عبد الكريم ، دراسات في تاريخ العرب قبل الاسلام ، ص ٦٣ .
٢٨. ابن سعد ، محمد بن سعد كاتب الواقدي (ت ٢٣٠ هـ) كتاب الطبقات الكبير ، تحقيق ادورد سخو ، ليدن ١٣٢١ هـ ، ج ١ ، ص ٣٠٨ .
٢٩. أبى العوام ، كتاب الفلاحة ، ص ١٢٦ .
٣٠. ابن بصال ، مصدر سابق ، ص ٨٩ .
٣١. البلاذري ، أبو الحسن احمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩ هـ) ، انساب الاشراف تحقيق محمد حميد عبد الله ، مطبعة دار المعارف . ، مصر ، ١٩٥٩ ، ج ١ ، ص ٩٢ ، الطبري ، محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ) ، تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، ط ٥ ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٦٧ ، ج ٢ ، ص ٢٤٦ ، ابن عبد البر ، يوسف بن عبد الله المالكي (ت ٤٦٣ هـ) الاستيعاب في معرفة الاصحاب ، مطبعة السعادة ، مصر ، ج ١ ، ص ٢١ .
٣٢. ابن بصال ، مصدر سابق ، ص ٤٦ .
٣٣. النابلسي ، مصدر سابق ، ص ١٣-١٤ .
٣٤. ابن بصال ، مصدر سابق ، ص ٤٠-٤٦ .
٣٥. ابن بصال ، مصدر نفسه ، ص ٤١-٤٣ .
٣٦. النابلسي ، مصدر سابق ، ص ١٤ .
٣٧. ابن بصال ، مصدر سابق ، ص ٤٢-٤٣ .
٣٨. سوسة ، احمد ، تاريخ حضارة وادي الرافدين ، بغداد ، ١٩٨٦ ، ج ١ ، ص ٣٣٢ .
٣٩. الحضرمي ، عبد الرحمن عبد الله ، الحضارة اليمنية ، مجلة دراسات يمنية ، ع ٤٤٤ ، صنعاء - ١٩٩٢ ، ص ١٢٠ .
٤٠. علي ، جواد ، مرجع سابق ، ج ٧ ، ص ٣٥ .
٤١. الاصمعي ، ابو سعيد عبد الملك بن قريب ، مجلة المشرق . س ١ ، المطبعة الكاثوليكية للاباء اليسوعيين ، بيروت - ١٨٩٨ ، ص ٢٥ .
٤٢. الاصمعي ، تاريخ العرب قبل الاسلام ، تحقيق حسن الياسين ، بغداد - ١٩٥٩ ، ص ٦ .
٤٣. ياقوت الحموي ، مصدر سابق ، مج ٤ ، ص ١٤ .

٤٤. ابن الفقيه ، احمد بن محمد بن علي _ت ٢٩٠هـ) ، مختصر تاريخ البلدان ، طبعة ليدن ، ص ٣٣ .
٤٥. ياقوت الحموي ، مصدر سابق ، مج ٤ ، ص ١٤ .
٤٦. النابلسي ، مصدر سابق ، ص ١٤ .
٤٧. الأصمعي ، النبات والشجر ، جمعه : أوغست هنفر ، مجلة المشرق ، العدد الاول ، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين ، بيروت - ١٨٩٨ ، ص ٨٧٨ .
٤٨. أبن بصال مصدر سابق ، ص ٤٤ .
٤٩. الأشبيلي ، المقنع في الفلاحة ، تحقيق جلا جرز ، ١٩٧٢ م ، ص ٦ .
٥٠. المصدر نفسه ، ص ٦ .
٥١. أبن بصال ، مصدر سابق ، ص ٥٥ .
٥٢. النابلسي ، مصدر سابق ، ص ١٤ - ١٥ .
٥٣. الأشبيلي ، المقنع في الفلاحة ، ص ٧ .
٥٤. أبن بصال ، الفلاحة ، ص ٤٩ ؛ ابن العوام ، الفلاحة ، ص ١٢٦ .
٥٥. أبن وحشية ، الفلاحة النبطية ، ج ١ ، ص ٣٥ .
٥٦. الاصطخري ، ابو اسحاق ابراهيم بن محمد الكرخي (ت ٣٤١هـ) ، مسالك الممالك ، ليدن : مطبعة بريل ، ١٩٣٧ ، ص ٢٣ .
٥٧. سوسة ، احمد ، تاريخ حضارة وادي الرافدين ، بغداد ، ١٩٨٦ ، ج ٢ ، ص ٣٠ .
٥٨. الزرادشتية : هم اصحاب زرادتش ومن أهم تعاليمه أن من يدخل الجنة من كان فكره وقوله وعمله طيب ومن كان فكرة وقوله شيء يدخل النار ((داود الجليبي ، مطبعة الاتحاد الجديدة ، الموصل ، ١٩٥٢ ، ص ١٠ .
٥٩. الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ١ .
٦٠. علي ، جواد ، مرجع سابق ، ج ٧ ، ص ٢٤٩ .
٦١. المرجع نفسه ج ٧ ، ص ٢٤٩ .
٦٢. المرجع نفسه ج ٧ ، ص ٢٤٩ ، الهاشمي ، رضا جواد تجارة القوافل ودورها الحضاري ، بغداد ، ٨٤ ، ١٩٨٤ ، ص ٢٠ .
٦٣. الهمداني ، مصدر سابق ، ص ٥٠ .
٦٤. غوستاف لويون ، حضارة العرب ص ٥٩ .
٦٥. أبن هشام ، السيرة النبوية ، ق ١ ، ص ٥٦ .
٦٦. المصدر نفسه ، ص ١٨٨ ؛ .
٦٧. البلاذري أبو الحسن أحمد ابن يحيى (ت ٢٧٩ هـ) ، أنساب الأشراف ، تحقيق محمد حميد عبد الله ، ١٩٥٩ ، ج ١ ، ص ٥٩ .
٦٨. الواقدي ، المغازي ، ج ٢ ، ص ٥٩٨ .
٦٩. الواقدي ، فتوح الشام ، ج ١ ، ص ١٦ .
٧٠. جورج لوفران ، تاريخ التجارة منذ فجر التاريخ حتى العصر الحديث ، ص ١٩ .

٧١. أبْن حبيب، أبو جعفر محمد بن حبيب، (ت ٢٤٥ هـ) المحبر، تحقيق، ايلزه ليختن، المكتب التجاري، بيروت، ص ١٩٥ - ١٩٦ .
٧٢. الأصفهاني، الاغاني، ج ٨، ص ٨٣ .
٧٣. يراجع نص القصة الأسطورية عند أبْن حبيب، المنمق، ص ١٧١ - ص ١٧٢ .
٧٤. يورد أبْن قتيبة قي المعارف أنه ((كان لعبد الله بن جدعان جوار يساعين ويبيع أولادهن)) ص ٥٧٦ .
٧٥. سورة الهمزة، الآية ٣.٢.١.
٧٦. سورة التكاثر، الآية ٢.١.
٧٧. سورة العلق، الآية ٧.٦.
٧٨. سورة الفجر، الآية ٢٠.١٩.١٨.١٧.
٧٩. صالح احمد العلي، محاضرات في تاريخ العرب، ص ٩٦ .
٨٠. المسعودي، مروج الذهب، ج ٢، ص ٣٠ - ٣١ .
٨١. سورة التوبة، الآية ٥، الآية ٣٦، سورة البقرة، الآية ١٩٤ .
٨٢. جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، ج ٧، ص ٣٩٩ .
٨٣. المرجع نفسه، ص ٤٠٤ - ص ٤٠٦ .
٨٤. المرجع نفسه، ج ٧، ص ٤١١ .
٨٥. المرجع نفسه، ص ٤١٢ - ص ٤١٣ .
٨٦. سعيد الأفغاني، أسواق العرب في الجاهلية والاسلام، ص ٦٠، ((ان هذا لا يجب أن ينسبنا ان الربا كان موجودا عند البابليين والأشوريين)) وان الإرباح الكبيرة التي تتيحها التجارة كانت سبباً للتعامل بالربا الفاحش .
٨٧. حسين مروة، النزعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية، ص ٢٠٣ - ص ٢٠٤ .
٨٨. أحسان سركييس، مدخل إلى الآداب الجاهلي، ص ٢٥٣ .
٨٩. جان شينو وآخرون، حول نمط الإنتاج الأسيوي، ص ١٩٨ .
٩٠. سمير أمين، المتطور اللأمتكافيء، ص ٣٤ .
٩١. الكبيسي، حمدان عبد المجيد، اسواق العرب التجارية، بغداد، دار الشؤون الثقافية، ١٩٧٨، ص ٢٦ .
٩٢. كارل بروكلمان، تاريخ الشوب الإسلامية، ص ٢٦ .
٩٣. شوقي ضيف، العصر الجاهلي، ص ٧٧ .
٩٤. الازرقى، مصدر سابق، ص ١٩٠ - ص ١٩١ .
٩٥. ابن حبيب، مصدر سابق، ص ٢٦٣ - ص ٢٦٨ .
٩٦. اليعقوبي، مصدر سابق، ص ٢٣٧ .
٩٧. الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ١٧٩ - ص ١٨٠ .
٩٨. علي، جواد، المفصل، ج ٧، ص ٢٦ .
٩٩. ابن حبيب، المحبر، ص ٢٦٣ - ص ٢٦٨ .

١٠٠. سوق عكاظ ، وهي اكبر اسواق العرب ، وقد اختلف اغلب الباحثين والمؤرخين في مسألة تحديد موضع مكان عكاظ ويقع سوق عكاظ في أرض واسعة واقعة شرق الطائف بميل نحو الشمال ، ولفظه عكاظ مشتقه من فعل عكظ ويذكر الفراهيدي أنما سمي عكاظ لان العرب كان تجتمع فيه كل سنة فيعكظ بعضهم بعضاً بالمفاخرة والتنافس ((ابو عبد الرحمن الخليل بن احمد (ت ١٧٥هـ) ، كتاب العين ، تحقيق مهدي المخزومي وابراهيم السامرائي ، بيروت مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، ١٩٨٨ ، ط ١ ، ص ١٩٦ ، اما سوق دومة الجندل فيه تقع على الطريق الممتد بين الحجاز وشام وكان بها يقام في دومة الجندل موسم من مواسم الحج عند العرب إذ كانت العرب تقصدها للتقرب الى الاله (ود) وهو اله القمر المعيني وقد عبدته قبيلة كلب في دومة الجندل (البكري ، معجم ما استعجم ، ج ٢ ، ص ٤٠٨ ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٤٨٧ .
١٠١. نقولا زيادة ، لمحات من تاريخ العرب ، ص ٢٤٦ .
١٠٢. أبين حبيب ، مصدر سابق ، ص ٢٤٦ .
١٠٣. المصدر نفسه ، ص ٢٤٦ .
١٠٤. المصدر نفسه ، ص ٢٤٦ - ٢٦٥ .
١٠٥. المصدر نفسه ، ص ٢٦٦ .
١٠٦. اليعقوبي ، مصدر سابق ، ج ١ ، ص ٢٣٨ .
١٠٧. المصدر نفسه ، ص ٢٣٨ . (اليعقوبي) .
١٠٨. أبين هشام ، السيرة النبوية ، ق ١ ، ص ٤٢٢ .
١٠٩. امثال بن ابي وقاص وكان -بيري النبل، والوليد بن المغيرة وكان حدادا والعاصي بن هشام أخو ابي جهل ، كانا حدادين ، وخباب بن الارت كان حدادا يعمل بالسيوف واميه خلف اشتغل بصناعة الفخار وكان يبيع البرم ، وعتبه بن ابي وقاص اشتغل بالتجارة .
١١٠. مرجع سابق - المفصل - ٤ / ١٢٦ .
١١١. مرجع نفسه - ٤ / ١٢٦ وقد أورد المفصل أسماء عدد من الشخصيات التي عملت بمختلف الحرف امثال العوام ابو الزبير كان خياطاً ، والزبير وعمرو بن العاص وعامر بن كريز كانوا جزارين، وعثمان بن ابي طلحة كان خياطاً والنضر بن الحارث بن كلده كان يضرب العود ويغني.
١١٢. مرجع سابق - ج ٤ / ص ١٥٣ - ١٥٦ .
١١٣. الماوردي الإحكام السلطانية - ص ١٩٧ ، البلاذري - فتوح - ص ٤٨ .
١١٤. علي جواد - مرجع سابق - ٧ / ٥٨٩ .
١١٥. جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي البغدادي (ت : ٥٩٧ هـ) ، نقد العلم والعلماء ، (تلبيس أبلبس) ، صححه محمد منير الدمشقي ، (أدارة الطباعة المنيرية ، بلا) ، ج ٢ ، ص ٢٧٢ .؛ عبد الحي الكتاني ، التراتيب الإدارية (المطبعة الأهلية ، الرياض ، ١٣٤٦ هـ) ، ج ٢ ، ص ٦ .
١١٦. والابريسم : أعجمي معرب وهو الحرير ، أبو منصور موهوب بن احمد بن محمد بن الخضر الجوالقي (ت : ٥٤٠ هـ) ، المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم ، تحقيق احمد شاکر ، (أعيد طبعه بالأوفست ، طهران ١٩٦٦) ، ص ٢٧ . الحرير : ثياب من أبر يسم . ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (حرر) .

١١٧. ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (صوف) ، مادة (خزز) .
١١٨. احمد الشريف ، مكة والمدينة ، ص ٢٢٣ .
١١٩. البرم : قنان من الجبال واحدها برمة وهي القدر المتخذ في الأصل من الحجارة . ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (برم) .
١٢٠. ابن قتيبة ، المعارف ، ص ٥٧٦ .
١٢١. ليست من السود أعقابا إذا انصرفت ولا تبيع بجنبي نخلة البرما .
النابعة الذبياني (ت: ٦٠٤م) ، ديوان النابعة (مطبعة الهلال ، مصر ، ١٩١١) ص ٩٣ . ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (برم) .
١٢٢. القدح : من الآنية يستعمل للاكل والشرب . ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (قدح) .
١٢٣. أبو الفرج الأصبهاني ، الأغاني ، ج ٣ ، ص ١١٥٧ .
١٢٤. الأزرقى ، مصدر سابق ، ج ١ ، ص ٥٩ .
١٢٥. ابن بكار ، جمهرة نسب قريش ، ج ١ ، ص ٣٧١ .
١٢٦. ولفسنون ، أسرائيل ، اليهود في بداية الحجاز ، ترجمة، طه حسين ، بيروت ١٩٧٩ ، ص ٩٤ .
١٢٧. ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (دبي) ، مادة (زفت) ، مادة (حنتم) ، مادة (نقر) .
١٢٨. المكاتل : مفردها مكتل ، وهو الزنبيل الذي يحمل فيه التمر أو العنب . ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (كتل) .
١٢٩. احمد الشريف ، مكة والمدينة ، ص ٣٧٦ ؛ شكران خربوطلي ، الحياة الاقتصادية في يثرب قبل الهجرة ، ص ٤٢ .
١٣٠. ابن عبد البر ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، ج ٢ ، ص ٥٨ ؛ ابن حجر الإصابة في تمييز الصحابة ، ج ٢ ، ص ٦٣ .
١٣٢. ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج ٢ ، ص ٤٩١ .